

المرحلة: الثانية

المحاضرة الاولى

مقدمة في علم الجمال

لا بد قبل الخوض في ماهية علم الجمال والجمال والفن، أن نخرج على الإنسان الذي يعتبر المركز الأوحد للإحساس بالجمال والمدرک الوحيد له.

كان الناس منذ بدء الخليقة يرهقون التفكير على الدوام بمعضلة ماذا يعني أن يكون الكائن الحي إنساناً وفيما يتمثل مغزى وجوده على الأرض.

إن الإنسان كما عرفه الإغريق أنه أعجب العجائب وهو مركز الكون مما دفع علماء الاجتماع للوصول إلى صيغة جامعة تعرف الإنسان وتميزه عن باقي الكائنات الحية. وحددت علاقات ثلاث في تعريف الإنسان وإن الكائن البشري إذا فقد إحدى هذه العلاقات يخرج عن كونه إنساناً ذو قيمة ولا يمكن أن يخطو خطوات جادة في تعظيم الإرث البشري الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وحتى الجمالي وهذه العلاقات هي:

العلاقة المعرفية أي (المنطق - الحق) والعلاقة الأخلاقية أي (الخير) والعلاقة الجمالية (الجمال.)

يتسم الإنسان للوهلة الأولى بنفس الاحتياجات التي تلازم أي كائن حي آخر، فهو ملزم بأن يأكل ويشرب ويحمي نفسه من البرد والحر ومن هجمات الأعداء وأن يحافظ على نسله، غير إنه يلبي هذه الاحتياجات بطريقة تختلف عن سلوك الحيوان.

أما الحيوان فمهما قام من أفعال معقدة تشبه للوهلة الأولى أفعال الإنسان يبقى على الدوام خاضعاً لتأثير احتياجاته البيولوجية المباشرة.

فالشيء الذي لا يمس أسس نشاط الحيوان ا لحياتية يبقى وكأنه غير موجود بالنسبة له.

فإن الكائنات الحية غير الإنسان ليس من سجاياها معرفة العالم بحد ذاته أي (العلاقة المعرفية) والتمتع بجمال العالم وشموخ الجبال وبصفاء السماء وخضرة الغابات ونقاء الأنهار ، لا يشكل أي شيء ذو قيمة بالنسبة للحيوان لهذا فهو لا يكثرث بالعلاقة الجمالية.

وليس من سجايا الحيوان أيضاً القدرة على أن يضع نفسه في محل سواء أي أن يضحي بنفسه وينكر ذاته من أجل باقي الحيوانات من بني جنسه لهذا فهو يفتقر للعلاقة الأخلاقية التي تتمثل في الخير.

يقول نيتشه (إن النمر يعرف جيداً كيف يجب أن يكون نمرأ ، والعنكبوت يحيا مثلما تحيا العناكب والسنونو تطبعت بالطباع التي تليق بالسنونو، سوى الإنسان وحده ملزم بأن يتعلم كيف يجب أن يكون إنساناً) ويلاحظ أن السعي إلى الحقيقة المطلقة والحاجة إلى الجمال والتعطش إلى الخير من أبرز وأهم مواصفات الإنسان الجاري تناوله من جانب حياته الروحية والمادية.

ولكننا إذا اقتصرنا على تعريف جوهر الإنسان باعتباره متحلياً بالحقيقة المطلقة والخير والجمال، فسوف نصطدم بقدر جم

من التناقضات لأن فهم هذا الثالوث ، يختلف باختلاف المجتمعات والعصور التاريخية.

إن جوهر الإنسان ليس مجرداً يتسم به فرد بعينه إنما هو في واقعه مجموع العلاقات الاجتماعية كافية.

بهذا التعريف المقتضب للإنسان الذي أرهق الكثير من العلماء الاجتماع والنفس وكان حصيلة تطور الفكر البشري ونتيجة دراسات معمقة ومختصة في مجال دراسة الإنسان والمجتمع.

نأتي الآن إلى الجمال وعلمه.

هل للجمال علم وما هو موضوعه وما هي بحوثه وكيف ينصف بين العلوم وهل هو حديث الولادة أم أن له أساس تمتد جذوره في أعماق الفكر البشري وما هي فوائد علم الجمال و...الخ. هذه الأسئلة وسواها تغزوا عقل كل من يرهق تفكيره في هذا العلم وغيره من العلوم.

يعرف علم الجمال (AESTHIK) بالألمانية و (ESTHETIQUE) بالفرنسية

و (AESTHETICS) بالإنكليزية و (ESTETICA) بالإيطالية و ..الخ.

بأنه علم الأحكام التقويمية التي تميز بين الجميل والقبيح (معجم لالاند) وهذا هو التعريف الكلاسيكي للفظ الاستطيقا.

وإن لفظ الاستطيقا (علم الجمال) يعود في أصله إلى اليونانية فهو مشتق من

(AISTHESIS) التي تعني (الإحساس) ويفيد معناها الاشتقاقي (نظرية الإحساس) ويتضمن

الإدراك الحسي وإنها تعني باليونانية في وقت واحد:

1- المعرفة الحسية أو (الإدراك الحسي.)

2- المظهر المحسوس لإدراكنا والصورة الأولية لحساسيتنا.

إن أول من دعا إلى إيجاد هذا العلم وجعل لفظ الاستطيقا كإسم لعلم الجمال هو الكسندر

بومجارتن (1714 A.G.BAUMGARREN م – ١٧٦٢ م) وذلك في كتاب

(تأملات فلسفية في موضوعات تتعلق بالشعر) وقد قصد بومجارتن إلى ربط تقويم الفنون

بالمعرفة الحسية مما جعله يعد كمؤسس لهذا العلم.

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الاستطيقا من الكلمات التي جرت على الألسنة حتى أن الشاعر جان

بول JENPAUL قال سنة ١٨٠٤ م (إن زماننا لا يعج بشيء بقدر ما يعج بعلماء الجمال) لكن

موضوع هذا العلم وهو الجميل والجمال والقبح كان مطروفاً منذ عهد اليونان كأفكار متفرقة

عند أفلاطون وأرسطو وكزينوقراط وفي عهد الرومان أيضاً مثل أفلاطون وشيرون ..الخ.